التقافة شمالا

محاضرة مجدلاني عن الأيزوتيريك في البيت الثقافي بزغرتا تثير ضجة في أوساط المتهمين وآراء مختلفة حول الموضوع

فكر طموح يسعى الى سبر اغوار الحقيقة القصوى ، وقلم دؤوب لا يكل ولا يمل من نشر مبادىء الايزوتيريك ، وذلك مهما بدا الموضوع للبعض عويصا مبهما او استار معارضة البعض الآخر لا لكونهم يفقهون حقيقة ما يجادلون حوله انما لان افكارهم المسبقة قد ترسخت في عقولهم فغدوا عاجزين عن أن يتقبلوا سواها . فالحقيقة ، بالنسبة اليهم ، هي فقط ما يؤمنون به ؛ وكل ما عداه ليس أكثر من ترهات واباطيل ينبغي تجاوزها .

هذه هي بالضبط ازمة الانسان المعاصر ، انها ازمة فكرية روحية قبل ان تكون اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ..

ولعل اول ما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد اننا لسنا هنا البتة في معرض الدفاع والمنافحة عن طروحات جوزيف مجدلاني . ففي حال ثبت حقيقة ما يقترحه كان هذا كافيا بحد ذاته ليجعل افكاره ومفاهيمه تستمر في الزمن وتصمد امام هجمات المعارضين ونقد الناقدين بغير حق ؛ وإلا اندثرت معالمها من تلقاء نفسها في حال لم يتم اثبات صحتها وصدقها .

وبعبارة اخرى ، ان الحقيقة ليست في حاجة إلى من يدافع عنها ، اذ انها لا بد ان تتجلى وان تمزق الحجب إن عاجلا أو آجلا ؛ تماما كما ان كل ما يناقض الحقيقة سوف « تندك اسواره » لا محالة مهما بدا وطيد الاركان لفترة ما ..

نحن هنا في حضرة من ينادي « بالمعرفة البيضاء » وما هذه الصفة بالذات الا لان اللون الابيض ينطوي في ذاته على جميع الالوان ، كما ان المعرفة الايزوتيريكية تطمح الى تكوين نظرة شمولية حول الانسان تأخذ بعين الاعتبار تجذر وجوده الجوهري المادي فيما وراء سطح الاشياء المرئي والظاهر . فالمعرفة الاصيلة إما ان تكون تكاملية تتيح اظهار التناغم البديع بين الباطن والظاهر بين الالهي والانساني ، بين الوعي وتجلياته ، وإما ان تضيع على الكائن الانساني فرصة معرفته لذاته ، مع العلم ان مبدأ « معرفة الذات » هو بمثابة المفتاح الذي تنكشف من خلاله حقيقة الوجود بمجمله انطلاقا من الالوهية اللامحدودة حتى التجلي الكوني حيث تتحقق « دراما » التجسد .

من جهة ، فكر مشع ومنفتح يسعى الى الخروج بالمعرفة الايزوتيريكية من عالم التنظير والتجريد الى صميم الواقع الحي المشخص (Concrete) وذلك كخطوة لا بد منها لتعريف الكائن الانساني على الحضور الالهي الكامن في عمق ذاتيه) ، ومن جهة اخرى ، جمهور لم يحن له بعد أن « يهضم » ما اقحمه به هذا الفكر الروحاني المتجدد ؛ فمنهم من اكتفى بموقف الدهشة والتساؤل وحتى اللامبالاة ، ومنهم من كان اكثر عدوانية فلم يقف عند حد المعارضة العلمية المشروعة بل حاول ، لو كان في امكانه الانقضاض على هذا الوعي الجديد الذي اتحدى [illegible]

□ جوزف مجدلاني خلال الندوة □

وعينا المباشر قضية فكرية طالما عالجها الانسان عبر الزمن ، فكانت الحلقة المركزية في الفكر الفلسفي والاستنتاج المحير في الاكتشاف العلمي والركيزة الاساسية في الفكر الديني . وأتردد في التحديد طالما لم يحسم الامر والحوار الفكري ما زال قائما بين التيارات الفكرية المختلفة ، وما وجودنا هنا اليوم الا جزء من هذا الحوار في قضية السبب والعلة الاولى .. الحياة وهدفها .. الماوراء والواقع الملموس .

وها هو الايزوتيريك يبحث في طريق المعرفة ، في الوعي وينصب نفسه علما له ، وصولا الى معرفة الحقيقة المطلقة بدءا بمعرفة الذات معرفة باطنية خفية لا منظورة ..

كيف ذلك ؟.. لنستمع الى الاستاذ جوزيف مجدلاني يحدثنا في ماهية الايزوتيريك ..

واسمحوا لي اخيرا ان انوه بالبيت الثقافي منبرا حرا ، فلكل مفكر ومن على هذا المنبر الحق بطرح افكاره بروح ديموقراطية ، وللمستمع الحق في الحوار الديموقراطي ، وذلك بهدف تعميق معرفتنا وتمتين ثقافتنا . كما ان البيت الثقافي لا يجد نفسه ملزما باي رأي أو عقيدة . فلكل منا الحق في تبني أو رفض اية فكرة أو رأي طالما آمنا بالديموقراطية فكرا وممارسة .. وشكرا ...

ما هو الايزوتيريك

من خلال محاضرته الفريدة ، أوضح الاستاذ مجدلاني ماهية علوم الايزوتيريك (Les sciences esoteriques) أو علوم خفايا الباطن الانساني ، والنواحي اللامنظورة في الكيان البشري ، تلك التي اصطلح على تسميتها بالاجسام الباطنية ، وعددها الاثيرية !..

هذه المكونات الباطنية هي المقومات الجوهرية التي منها يتألف الكائن الانساني هذه ابعاد المدارك والمشاعر ، واسباب القوى الخفية في الانسان !. هي علم الانسان بشموليته ، الانسان بجوانبه

من استعراض تلك المحاضرة العميقة المغزى انما هو ما صدر من المستمعين من تعليقات تدل ، اقل ما تدل ، على تضارب الآراء والمواقف تجاه مثل هذا الموضوع الحساس والمحوري لا بل المستقبلي القيمة والمنحى ..

آراء ومواقف

● ولنبدأ برأي الاذاعي روبير ف. فرنجية ، وقد ورد كما يلي :

« ما هو الايزوتيريك ؟ هذا السؤال حرضنا على الحضور والاستماع الى المناقشة وتناقض الآراء اكثر من الشرح الطويل والتعريف الذي زاد من استغرابنا ومن استفهاماتنا ..

علم الذات الباطنية لا شك انه حرك فينا الشغف لقراءة الاصدارات الـ ١٩ الخاصة بهذه العلوم (ونذكر على هامش حديث الزميل روبير ان جمعية اصدقاء المعرفة البيضاء اصدرت حتى الآن ١٩ كتابا تشرح علوم الايزوتيريك ، وهي متوافرة في المكتبات) .

بالنسبة الى الشرح المسهب لم يكن مقنعا في اعتقادنا الشخصي وفي رأينا المتواضع ، خاصة بعد المداخلات الطبية التي افسدت الادلة والافكار وزادت من حدة المناقشة وعمر الشكوك . وقد يكون سبب ذلك اسلوب المحاضر ، إذ انه تكلم بطريقة ادبية اكثر منها علمية ، فكانت النتيجة فشله في تعميم هذا العلم وتثبيته وتاكيده ، على الاقل في هذه المحاضرة وعبر منبر البيت الثقافي » .

● في المقابل ، كان موقف السيد سليمان اجبع مختلفا : « اعتبره علما مهما جدا ويفتح آفاقا صحيحة للانسان . وانا لدي تجربة واؤيد كل الذي قاله الاستاذ مجدلاني » .

وعن معارضة الحضور قال: « لم تكن معارضتهم بناءة . تكلموا بطرق عقلية جدا ، بطرق ملموسة ، في حين ان الحقيقة هي كل ما يتعدى الملموس ويتعدى المادة » .

وعن سؤال حول أي مدى تمكن الاستاذ مجدلاني من ايصال ما يريد للحضور ، اجاب :

« لم يستطع ايصال رأيه لانه لم يكن هناك من تجاوب بين الاثنين . لم يكن للحضور الهوائي Antenne الموجه بطريقة صحيحة وقد بدا متحجرا جدا ، علميا ومختبريا الى أقصى حد . اما الاستاذ مجدلاني فهو منفتح وسام جدا . والتمست لديه كثيرا من التفتح الباطني » .

● اما السيدة اجبع فقالت : « رأيي مطابق لرأي زوجي . ومن الملاحظ ان اكثرية الحضور لم يكن هذا الحقل حقلهم ويتجادلون حول شيء لا يفهمونه .. انا من ناحيتي استطعت استيعاب هذا الموضوع إذ ان زوجي يهتم بهذه الامور ونتشاركها سويا . أقول اني اقتنعت نسبيا ولكن ليس ١٠٠٪ لانه ما من حقيقة تبلغ اليقين فيها نسبة المئة في المئة » .

● الفنان سايد أبو محرز : « إنها افكار

المشخص Concrete (وذلك كخطوة لا بد منها لتعريف الكائن الانساني على الحضور الالهي الكامن في عمق ذاتيه) ، ومن جهة اخرى ، جمهور لم يحن له بعد ان يتخلص من اتجاهه هذا الى ذلك الوجداني اكثر عدوانية فلم يقف عند حد المعارضة العلمية المشروعة بل حاول ، لو كان في امكانه الانقضاض على هذا الوعي الجديد (الذي اتحدت فيه روحانية الشرق بعقلانية الغرب) ومحاولة تمزيقه إرباً إرباً وما ذلك إلا لأنهم في لاوعيهم يتحسسون ان ثمة عصراً ذهبياً آت لا بد آت .. عصر يتفلت فيه الانسان من القيود التي كبل بها هو نفسه بنفسه ، ومن اخطر تلك القيود انما هو سجن الافكار والمفاهيم الصدئة الذي ما زال يقف كل طموح البعض عند حد الانزواء فيه خوفاً من الانفتاح على انوار الحقيقة ، فكأنهم لكثرة ما ألفوا العيش في الظلمات اصبحت الاشعة الساطعة تبهرهم لا بل تعميهم .

ومع ان ثمة طرفاً ثالثاً كان على اطلاع بالموضوع المطروح وكان أميل الى التأييد والتفهم ، الا ان الصورة التي تكونت في البيت الثقافي في زغرتا كان يستقطبها الصراع بين طرفين (كما يحدث دائما حين تنطرح مسائل الوجود المحورية) : احدهما يمثل تيار التحجر والركود فيبدو بمثابة الجهاز الآلي الذي تنبت من خلاله وتأخذ مجالها الى عالم التعبير الآراء اللاعقلانية والاحكام المسبقة التي لا تتزعزع .

اما التيار الآخر فيمثل حركة الابداع والتجاوز المتواصل فكأنه ينادي بالكائن الانساني عن أن ينخفض الى مستوى « الشيء » المبرمج ويأبى عليه الا أن يعبر عن عمق باطنه الالهي الذي يرادف الوعي المشع المتفتح والروح المتجددة دائماً وابداً والمنسجمة مع ذاتها ومع الكون وبالاخص مع الالوهية الكامنة فيها ، فليس عجيباً بعد كل ذلك ان تدرك بكل صفاء المعنى السامي لوجودها ومسؤولية الدور الذي اختارت ان تلعبه ...

ترى بماذا ينادي الايزوتيريك اذا لم يكن بمثل هذه الحقائق الالهية بالذات ؟ انه ليس مجرد فلسفة او علماً او ديناً ، انه تأصيل لحياة الكائن الانساني كي تبلغ مداها الالهي ..

وقعت مهمة تقديم المحاضر على الاستاذ قبلان المصري ، ومما جاء في حديثه :

« أهلا بكم في البيت الثقافي .. يتسم لقاؤنا اليوم بشيء من الدهشة لا لشيء الا لان الموضوع الذي نحن بصدده والذي سيعالجه محاضرنا الكريم الاستاذ جوزيف مجدلاني يحمل في طياته هذه الدهشة . وكم كانت دهشتي كبيرة عندما اقترح اسمي في الهيئة الادارية لتقديم الاستاذ مجدلاني ! وعظمت دهشتي لما صرحت الاديبة الانسة سوزان البعيني زميلتنا في الهيئة الادارية ان هناك شخصين وأنا ثالثهما في زغرتا طبعاً يعرفون اموراً حول هذا الموضوع « الايزوتيريك » ...

وكي لا يخيب الظن بي رأيتني أتهم عدداً من كتب هذا النهج الخفي في الذات الانسانية في فترة قصيرة . وكل هذه الكتب كان قد كتبها أو اعدها الاستاذ جوزيف مجدلاني نفسه . كيف لي إذاً ان اعرف بالاستاذ جوزيف مجدلاني ومعرفتي بشخصه الكريم لم تتجاوز لحظات خلت ؟!.. وهل أعرفه استناداً الى فكره الذي يحمله ويمارسه في ادق تفاصيل حياته ؟.. عندها اقول : من أجدر في تعريف المفكر ، من خلال فكره ، من المفكر نفسه ؟ وهو المؤمن بحقيقة واقعية : وهي ان لا احد يستطيع ان يعرف حقيقة نفسك غير نفسك .

نحن اليوم مع محدثنا الكريم نعيد الى (Les Sciences ésoteriques)

خفايا الباطن الانساني ، والنواحي اللامنظورة في الكيان البشري ، تلك التي اصطلح على تسميتها بالاجسام الباطنية ، وغددها الاثيرية [illegible]

[illegible] الانساني هذه ابعاد المدارك والمشاعر ، واسباب القوى الخفية في الانسان !. هي علم الانسان بشموليته ، الانسان بجوانبه كافة : الظاهرة والخفية ، المادية والباطنية الروحية ..

كما بين الاستاذ مجدلاني كيفية توارد الافكار ، وسبب تأثير الكواكب في طباع الانسان ، وماهية الاحلام .. وسوى ذلك من تساؤلات لم يجرؤ المرء على الافصاح عنها علنا ..

وأضاف ان الايزوتيريك هو العلم الاقدم على وجه الارض ، أو علم الانسان ، كما كان يدعى في الماضي السحيق حين كان محتكراً على الملوك والاعيان فقط .. وهو العلم الوحيد الذي لا يقوم إلا على التطبيق العملي في تعريف الانسان الى طوايا نفسه ، في مختبر ذاته ، والانسان هو المختبر والمختبر .. ليلمس الحقيقة بنفسه ..

ومما قاله الاستاذ مجدلاني ان الايزوتيريك ليس فلسفة نظرية . فالفلسفة التي تقوم على النظريات تصبح جدلاً عقيماً ، والنظريات القديمة تخبو كلما انبثقت نظريات جديدة .. وأوضح ان الايزوتيريك ليس علماً كباقي العلوم ، لأن العلم يحد بحقل اختصاص واحد .

ببكل بساطة ، الايزوتيريك طريقة حياة تتأكد من نتائجها عملياً .. هو درب وعي وتطور يسلكه الانسان للوصول الى مداه الانساني . انه « تقنية اعرف نفسك » علم انسانية الانسان ، في تطبيق عملي !..

من هذا المنطلق ، يعمل الايزوتيريك على تحويل مناطق اللاوعي في الدماغ الى وعي ، فيتوسع الاستيعاب وتنجلي الغوامض من حول الانسان وهو يتعمق في معرفة ذاته .

كما أوضح الاستاذ المحاضر ان الايزوتيريك هو علم الاسباب والخفايا .. يغوص في عالم الباطن مثلما يغوص في عالم الظاهر .. فالايزوتيريك يسبر اغوار الانسان من جميع جوانبه المرئية واللامرئية .. ويكشف جوهر الحياة ، كما يجب ان تعاش الحياة . وقال ان السعادة ليست هدفاً نسعى اليه .. والا فهي كالسراب .. نتوهم الوصول اليه ، لكنه يبتعد كلما سعينا اليه !..

السعادة كامنة في باطن كل انسان . والإنسان الواعي هو الذي يعرف كيف يحيي هذه السعادة ويحياها الى الابد ، في تحقيق ذاته !..

وتطرق الاستاذ مجدلاني الى رمز « اكسير الحياة » و « حجر الفلاسفة » فشرح الاول على انه المحبة التي تجعل النفس تحيا في سعادة دائمة ، فيما الثاني هو الوعي المتطور الذي سرعان ما يستوعب كل معرفة أو معلومة تقدمها له الحياة ..

وانتهى بالقول ان الايزوتيريك أو الدرب الى باطن الانسان انما هو طريق تحقيق الذات ، طريق لا تقدم نظريات بل طريقة حياة .. يتوصل المرء عن طريقها الى العلم الاكبر ـ علم الانسان الشامل ..

وقد تعجب المستمعون من رجال علم واختصاص وسائر طبقات المثقفين لتعمق الايزوتيريك في علوم الابعاد الخفية الكامنة في صميم الباطن الانساني ، بالاضافة الى تعمقه في اي علم آخر . ولعله يمكن تلخيصه بهذه العبارة: انه المعرفة الشمولية التطبيقية التي تعكس وعي الكائن الانساني بحضوره الالهي النابض ..

واعقبت المحاضرة مناقشة حول الموضوع شارك فيها الحضور من رجال فكر وإعلام .. الا ان ما يهمنا بالفعل عند هذه النقطة

مطابق لرأي زوجي . ومن الملاحظ ان اكثرية الحضور لم يكن هذا الحقل حقلهم ويتجادلون حول شيء لا يفهمونه .. انا من ناحيتي استطعت استيعاب هذا الموضوع [illegible] أن زوجي يهتم بهذه الامور ويثقفني حولها . أقول اني اقتنعت نسبياً ولكن ليس ١٠٠٪ لأنه ما من حقيقة تبلغ اليقين فيها نسبة المئة في المئة » .

● الفنان سايد أبو محرز : « إنها افكار جديدة اعجبتني واسمع بها للمرة الاولى . كان لدي بعض رؤوس اقلام حول هذا الموضوع ، ومن المفيد ان يطلع الانسان ويسمع وبالتالي يعود الى نفسه ويقارن ما بين قناعاته وما بين الذي طرحه الاستاذ مجدلاني » .

وعن تبني آرائه قال : « أحس ان لديه شيئاً من المنطق غير الملموس ، طبعاً لأن الاشياء الجديدة تظل دائماً عرضة للاستغراب بادىء الامر . وانا من ناحيتي لا يجب ان استغربها لمجرد كونها جديدة ، بل أعمد الى تحليلها ... » .

● وعن رأي الاستاذ فوزي يمين الشاعر ولاعب الفوتبول :

« لم أستوعب الموضوع جيداً ، لانه تحدث عنه بشكل فلسفي وأدبي ولم يتطرق اليه كعلم بشكل موضوعي عملي ، لانهم يسمونه علماً . كانت تنقص الموضوع التقنيات التي كان من الممكن التوصل اليها . الحقيقة والسعادة ، كل الديانات تكلمت عنها ..

● اما الدكتور انطوان رهبان (جراح ومن رواد البيت الثقافي) فقد كان تعليقه على موضوع الايزوتيريك بقوله :

« الموضوع جميل جداً من ناحية الثقافة العامة ، وعلى الانسان أن يطلع على هذه الانظمة الجديدة من العلم والمعلومات . ولكن يجب ان الا ننسى ان هناك حقائق علمية ثابتة لا نستطيع التخلي عنها ، وبما اننا أوجدنا لها تفسيراً في العلم والمختبر وفي الواقع الاجتماعي لماذا نفتش عندئذ إذا ما وجدت لأسباب اخرى ، ولكن اعود واكرر ان الموضوع جميل من ناحية الثقافة العامة إذ يكون لدينا ماهية التفكير وقوة التفكير .

وكما قال الاستاذ مجدلاني : هناك اشياء تصدق أو لا تصدق . ونحن أحرار في رفضها . ولكن هناك اشياء علمية ثابتة لسنا احراراً في رفضها » .

وعما إذا كان يعتقد ان الايزوتيريك يناقض العلم ، قال : « لا... لا يناقض العلم انما يستنتج اشياء هي مستنتجة علمياً ويضعها في غير طابعها ؛ مما يعني ان هناك حقائق علمية ملموسة اكيدة Scientifiques موجودة وثابتة يبرهن عليها علمياً ، يعود هو ويصفها في عالم الغيبوبة أو في عالم الايزوتيريك حسبما يسميه ، وما ماهية الايزوتيريك ؟ انا لا أملك الخبرة الكافية فيها . ولكن عندما يتطرق الى موضوع علمي انا أعرفه ، اعيشه وألمسه كل يوم ، لا استطيع السماح له بالقول انها ليست علمية .. » .

● الدكتور قيصر معوض : « لدي حساسية تجاه الموضوع » .

● الدكتور كمال معوض : « لقد تخطى مسلمات العلم كلها .. » .

● اما الاستاذ طنوس معراوي (مدير ثانوية زغرتا الرسمية) فلم يستطع التعليق الكامل على الموضوع ، إذ انه لم يحضر الا في أواخر المحاضرة لانشغاله . ولكن مما قاله : « علم جديد . وكنت افضل لو حضرت منذ البدء . واقول انها فرصة فاتتني لان الموضوع في غاية الاهمية .. » .

وأخيراً عمدت الشاعرة المربية الانسة سوزان البعيني الى شكر الاستاذ مجدلاني على هذه المحاضرة القيمة لما فيها من علوم جديدة كثيرون يسمعون بها للمرة الاولى ..

هدى شديد